واحدثت الميزان في قلوبهم وابدانهم وهم في بلادهم وعند ما فكروا بواعزها ولا وجدوا شيئا مما شاهدوه
به الاخبار عن الزخارف والتحايف في بلادهم الغريبة حتى يحكوا فيها بها القابهم ومشاق اسفارهم و
ومتاعب حروبهم عند ما عبروا نهر السند و وجدوا ارض الهند واهلها بسيطي المعيشة ومقتصدي
النفقة واهل شجاعة وحمية لاوطانهم وكان عبور النفور والغليان في قلوب العساكر المقدونية
على صفة نهر هيفاسيس وشرعوا في الاجتماعات والمجالس في المعسكر حتى تزلزلت عقول العساكر
وحاصل بينهم ما النفور واجتهدوا في مقاومة السعي في عدم عبور النهر لو ارادوا القواد وحتى
معارضة اسكندر مع العنف لو شرع في سوقهم من اجل عبور النهر فبلغت اخبار هذه الجمعيات وما
هو واقع من النفور في قلوب العساكر المقدونية اذان الملك ولما خشي اسكندر من انتشار هذا الهياج
وربما تؤول عاقبته الى ثورة عول بحسن تدبيره على عقد مجلس من كبار قواده ليريهم رايه ويأخذ
اراءهم فلما اجتمعوا عنده ذكر لهم ملخص امتداد فتوحاته وصفقها وقال لهم اني لا ادري نهاية
الدرجة التي يصل اليها المرء في اشغال ارتفاع نفسه اليها وانتم الآن لستم على مسافة بعيدة من نهر
الكنج والاوقيانوس الشرقي وانتم لو وصلنا اليهما فلا نكون على مسافة بعيدة من بحر هرقانيا او
بحر الخزر لان الاوقيانوس الاكبر محيط بارض الدنيا وان الخليج الهندي متصل مع خليج فارس وخليج
هرقانيا متصل بالخليج الهندي وانه من خليج فارس يمكننا حمل جيوشنا في اسطولنا والدوران حول
افريقية حتى نصل الى بوغاز اعمدة هرقل (جبل طارق) ومن ثم تكون حدود مملكتنا ممتدة فوق
الحدود التي حددها الاله للدنيا واحاطها بها ثم قال لهم انه لا يخاف مما من تعطيل يقع في مشروعاته
وتوقيف حركة المواظبة عليها الا ان الامم الذين هم ضعفاء النفوس ربما تهيج فيهم الحمية والحماس ويقوموا
في ثورات وان اجل اعمالنا يجب ان تكون مطابقة نصا لاعمال المشهورين الذين سبقونا وانه لا بد
لنا من انه يكون لنا حظ مما لاقوه من التعب والنصب ومشاق الاخطار ووعدهم واستشهد لنفسه على
وعده لهم جوبيتير اله الحرب بانه عند ما يتم له فتح اسيا عموما فانه لا يكتفي بما وعدهم به فقط
بل ويعطي كل واحد منهم بما يرغب وكان كل ما ذكره لهم اسكندر من الحمية والحماس ما حصل منه ادنى
تاثير في قلوب سامعيه وعم القلق والنفور في صدور العساكر بسببه ما حل فيهم من الحرارات الشديدة
وموت معظم المقدونيين وما بقي منهم على قيد الحياة الا القليل وتشوقوا للعود الى بلادهم ورؤية
اولادهم وعائلاتهم ومساكنهم واملاكهم وصمم الجيش على العود وخاب الملك فيما كان يرجوه لنفسه ولم
اسكندر ورضي بالعود مع الاشمئزاز والكراهة في النفس

عود اسكندر من الهند الى ارضه ودياره

ثم ان اسكندر من بعد انفضاض المجلس لبث ثلاثة ايام في خلوة منفردا لا على مدته كما هي عادته اذا
حصل عنده تزلزل او ارتجاج في عقله مع عنوان يعلن عساكره انه غير او بدل ما عزم عليه
مخالفا لاختيار ارائهم وفي ظرف هذه المدة كانت كافة اصدقاءه واحبابه وندماءه بعيدين عنه
وذكر المؤرخ اريان ان الملك انتظر في ظرف هذه المدة ربما يحصل بعض تغييرات في ارآء
عساكره ويرجعوا في تنفيذ اغراضه فما رأى ادنى دلالة او اشارة يستدل منها على حصول تغيير
في الآراء بل تمسكوا بعكس ما يرغب وعم فيهم الصمت والنفور وزاد فيهم الشغب والهياج وعولوا
[illegible] الكيد او عزما ثابتا على ما عزموا عليه فامر بتقريب القربان ومشاورة الالهة في هذا
الامر فعمل هذا حسب امره وقال العرافون انه لم يظهر من تقريب القربان الا دلالات مخالفة
بالكلية لعبور النهر اي نهر هيفاسيس (جيهم سوطلج) فمن ثم طلب احضار رؤساء قواده والاكثر
ثقة في صداقته ومحبته وامرهم ان يعلنوا الجيش بانه على حسب ما ظهر من الاحوال الغير موافقة
عند الالهة في عبور النهر سلم فيما تؤول اليه العواقب وما تكون محجوبة بالقدر المقدور واصدر
اوامره في الحال بعود الجيش المستاطن فيه الغضب والحنق والنفور وعدم القبول بما يرضاه
الملك وامر لاجل المحافظة والبقاء على حدود فتوحاته الشرقية ان يبني اثنتي عشرة محرابا من
الاحجار الضخمة في صفة ابراج مستحكمات في العلو والمتانة والجامعة على الصفة الغريبة
لنهر هيفاسيس وقرب في تلك المحاريب المهولة القربان اللازمة واتبعها كما هي عادته
بالمواسم والاعياد والافراح والالعاب وسباق الخيل والمطاردات ثم حبس كافة الاراضي
الواقعة في غرب النهر على حكومة بوروس وعبر ثانيا نهر هيدروطيس ونهر اسيسينيس
وسار حتى وصل نهر هيداسب بالقرب من الجهة التي كان قد امر اولا فيها بوجود المدينتين التي كان
امر ببنائهما وهما مدينتي بوسفاله ونيقية فاذا اشد الضرر من كثرة سقوط الامطار
وزيادة فيضان النهر ولا يوجد اوامر قطعية مرصصة في جلب المهمات اللازمة لتمام تشييدها

تشييدها فامر باصلاح المدينتين وترميم ما تشعث منهما مما كان صار بناه وكمال بناءها والمحافظة
عليها من حلول افات تحل بها وروي من وجه اخر ان اسكندر من بعد ما تغلب على مدينة سنقالة
كان راكبا ذات يوم من الايام في راس جيشه فرأى جماعة من البراهمانيين في مرج اخضر يتشاورون
ويتحاورون مع بعضهم فلما مر بهم وراوه ضربوا على الارض باقدامهم فاندهش اسكندر وتعجب
من هذه الحركة الخارقة للعادة وسأل منهم عن السبب الذي اوجب ذلك فاجابوه مشيرين الى الارض
باصابعهم ان المرء لا يشبعه الا هذا التراب وانه لا يقنع ولا يرضى بما استحوذ عليه من الارض
بل يطلب على الدوام الزيادة والفرق بينه وبين الاخرين زيادة القلق وعدم الراحة وشدة
الطمع وحب الشهرة وانه لو تغلب على عموم البر والبحر فلا ينال من ذلك سوى الاكدار والضرر
لنفسه ولغيره ثم يموت في اخر امره ولا يحوز من ذلك شيئا سوى ما يكون قبرا لضم جسمه وجمع
عظامه فما حصل عند اسكندر قبض من هذا الجواب بل اسرع في سيره في طلب المجد ومجازات اعماله من
ابتداء هذا الوقت على غير اغراضه قال المؤرخ اريان ان هؤلاء البراهمة كانوا في اجل الاعتبارات
في بلادهم وكانوا لا يديرون عوايد ورسوم ملوكهم بل كانوا ايضا يعدون ملوكهم فقط بوعظهم و
نصيحتهم اياهم وكانت وظائفهم في المملكة مثل وظايف موبدانات المجوس في ارض فارس
وكانوا يحضرون تقريب القربان العمومية والخصوصية واذا قرب واحد من احاد الناس قربانا
مخصوصا لا بد وان يكون موجودا واحدا منهم حاضرا في هذا القربان والا فمن دون وجودهم
لا يكون تقريب القربان مقبولا عند الالهة وكانوا يوجهون عباداتهم نحو الكواكب ولهم فن
العرافة والكهانة ويخبرون باحوال تغييرات الطقوس والفصول واذا خاب واحد من هؤلاء
البراهمانيين في اخباره او انباءه ثلاث مرات فلا يعتبر انباءه مما بعد ذلك مادام حيا
ملتزما بالنظر وقال استرابون ان افكارهم واراءهم ما كانت مخالفة كثيرا لما كان عليه اليونان
من الاراء والافكار وكانوا على عقيدة ان للدنيا مبدأ كما ان لها نهاية اي لها اول واخر
وان هيئتها مستديرة والذي خلقها وصورها اله واحد قادر له الحكم عليها وملازمة لجلالة
وان الماء اصل الحياة لكل شيء واما بالنظر لازلية الروح وعقاب المجرمين في جهنم فانهم كانوا
تابعين عقيدة افلاطون الا انهم ادخلوا في عقيدة هذا الفيلسوف اقاويل لا يتصورها
العقل في وصف هذا العقاب والكثير منهم يغدوا عريانا على الدوام وذكر اريان في صفات
حياتهم الدنيوية ومعيشتهم اقوال غريبة وما هم عليه من الصبر والقناعة العجيبة والكلام
وشربهم ما تنبت الارض من الحشائش والجذور والماء وكانوا على عقيدة تناسخ الارواح
وكانوا يعتقدون ان ارواح البشر تنتقل من اجسادها الى اجساد الحيوانات فمن ثم كانوا
يعافون لحوم الحيوانات ومن المحتمل انهم كانوا اخذوا هذه العقيدة عن فيثاغورس ويمشون
طول النهار واقفون ووجوههم موجهة نحو الشمس في الفصل الذي تكون فيه اشعة هذا الجسم
النير شديدة الحرارة وكانوا على عقيدة انه ليس من مجد الانسان وشرفه انتظار الموت
الى ان تهجم عليه الشيخوخة او شدة المرض وكانوا يسعفون هاتان العلتان بحرقهم اجسامهم
ما داموا حياتهم في الدنيا يحرقون انفسهم وهم على قيد العافية والصحة وما كان عندهم ادنى احترام
لكل من مات بعلة من العلتين السابقتين ويتصورون انهم نجسوا اعمدة الحرق والنار التي
حرقت اجسامهم وصيرتهم رمادا ابخارا [illegible] ما لو احرقوها وهم في عافية وصحة من علة
الشيخوخة والمرض وقال انه يوجد طائفة اخرى من البراهمانيين لهم اتحاد مع الناس عايشين
في المداين والقرى لا يرون ان قتل النفس من شجاعة الاعمال وينظرون اليها بنظر ان هذه
الحالة ضعف في عقيدة المرء ولا يجب على المرء ان يعرض نفسه لهلاك الموت مع شدة الصبر وقبول
معلوله فانه ذلك من اكبر الجرائم ومخالف لاوامر الالهة ووصاياها وقال سيسرو ان مثل
هذا الصبر الخارق للعادة ليس موجودا فقط عند عقلاء الهنود بل وعند النساء في تلك البلاد
فانهن يتنافسن على الدخول في شرف الموت مع بعولتهن وهذه الصفة موجودة في النساء
اللواتي ازواجهن كانوا في محبة زائدة منهن وصداقة تامة في الدنيا معهن وترضى المرأة
او الزوجة الواحدة بحكم يصدر عليها من اشخاص معينين لهذا الخصوص ولا يحكمون به الا اذا
مات الزوج وسمعوا من الزوجة القبول به ومتى فصلوا الحكم على الزوجة حسب رغبتها فانها
تشرع في جريها للموافقة للموت وتصعد فوق عمود الحرق المطروح فوقه جثة زوجها بعزم

Copyright © King Saud University